الموت لحظة فاصلة في الحياة

" فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت ، فوضع يده اليمنى على قائلا لى لا تخف ، أنا هو الأول والآخر ، والحى ، وكنت ميتا ، وها أنا حى الى أبد الآبدين ، آمين ، ولى مفاتيح الهاوية والموت "

(رؤ ١ : ١٧ و ١٨)

F.B.Meyer

كانت فكرة الموت مألوفة جدا لدى كنيسة أفسس الفتية ، التى انتزع منها الرسول المبارك . لم يكن أمرا غير عادى أن تنتقل فجأة فتاة صغيرة ، أو رجل متقدم في السن ، من صفوف الكنيسة المجاهدة الى صفوف الكنيسة المنتصرة . لذلك كانت مناسبة جدا ومقبولة هذه الرؤيا التي رآها الرائى عن ذاك الذى كان ميتا لكنه الآن حى في العالم الآخر ، محاط بكل مظاهر المجد . وقد بينت هذه الرؤيا أن العبور من وادى الموت المظلم الكئيب يؤدى الى نور وبهاء المجد العتيد أن يعلن لنا.

ان العقيدة المسيحية عن قيامة الأموات تختلف اختلافا كليا عن فكرة أفلاطون بصدد خلود النفس.

كل انسان يحس في عمق قلبه بعقيدة الخلود . وكما أن القمح يمكن زراعته في كل تربة كذلك يمكن القول ان الايمان بخلود النفس جزء من كيان كل بنى آدم.

هذا الايمان غريزى ، وجوهرى ، وعمومى عالم من الممكن أن يعبث به ، بل يكاد يتلاشى من الوجود لكنه في أية لحظة يقوم من الثرى ، ويثبت وجوده.

لقد لعب هذا الايمان دورا جوهريا جدا في مناقشات فلاسفة الاغريق قديما . لكن الخلود يختلف عن قيامة الأموات . فقد اعتاد أفلاطون أن يقول أن النفس عند الموت تترك الجسد - كنسر أطلق سراحه - لكى تحلق في سماء السماوات لكنه لم تكن لديه فكرة عن الحياة العتيدة بما تتضمنه قيامة الجسد من تراب الموت.

أما المسيح - له المجد . له المجد - فقد علم أن الجسد ، عند قيامة الأموات ، يكون خالدا مثل النفس ، وأن هنالك جرثومة الحياة مخبأة فى مكان ما في جسم تواضعنا ، كما توجد جرثومة الحياة فى حبة الحنطة التى تلقى في الأرض ، وأنه عندما ينادى الرب هذا الجسد فانه يقوم في شبه جسد مجده .

وبتعبير آخر نقول ان المسيح علمنا أن الذى يقوم من الموت الى الحياة الأبدية هو الانسان كله ، لا جزء منه . من أجل هذا ظهر ليوحنا ، في هذه الرؤيا المجيدة ، بهذه الصورة : (وأما رأسه وشعره فأ بيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان في أتون ، ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب ((رؤ ا : ١٤ - ١٦)

.

لقد خلق الانسان وله روح ، ونفس ، وجسد ولقد تم فداؤه وله هذه العناصر ، وسوف يقوم وله نفس العناصر، ان الخالق والفادى واحد ، ولا يوجد شيء يتمسك به الموت فريسة له سوى ما هو وقتى وأرضى . هذا المائت يلبس عدم موت (خلودا) ، وهذا الفاسد يلبس عدم فساد ، " فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة " (١ كو ١٥: ٥٤)

وعقيدة الكتاب المقدس عن قيامة الأموات تشهد لها حقيقة مؤكدة جدا

في أحد أحاديث أفلاطون الرائعة يجد القارىء بيانا للحديث الأخير الذى أجراه سقراط مع أصدقائه . ففى اليوم الذى نفذ فيه حكم الاعدام ذهب اليه تلاميذه في الصباح الباكر لكى يروه . ومن بين الرسائل التى أعطاها لهم ، هذه الرسالة الى (سيبس) ، أحد التلاميذ الحاضرين .

« قل لايفانوس أن يتبعنى بأسرع ما يمكن ان كان حكيما . فيبدو أننى راحل اليوم ، لأن هذه هى ارادة أهل أثينا » .

وبعد تفكير قليل استأنف الحديث فقال : « عندما يكون الموت أفضل من الحياة لماذا لا يعجل المرء بانهاء حياته ؟ » . وفي الحال أجاب على هذا السؤال فقال : « الأن الانسان سجين ، وليس له الحق في تحرير نفسه لكي ينطلق ، اذ انه في الواقع ملك للآلهة الذين يستدعونه عندما يريدون » .

فقال سيبس : (اذا فالعاقل يحزن لترك أسياده الآلهة ، والجاهل يفرح » .

فأجاب سقراط : « كلا ، لأننى واثق من أننى ذاهب الى آلهة أخرى حكماء وصالحين ، وأيضا الى أناس آخرين أفضل ممن تركتهم . لذلك فانني لا

أحزن كما يجب أن أحزن لو كان الأمر عكس هذا ، لأن لى رجاء صالحا أن هنالك بعد شيئا ينتظر الموتى، وكما قيل في القديم هنالك للصالحين نصيب أفضل مما للأشرار » .

هذا جميل جدا ، سيما عندما نذكر أن المتكلم لم يصل الى هذه النتيجة الا على ضوء قبس ضئيل جدا من النور . ونحن لا يمكن أن نتجاهل آثار الشك

في كلماته : « لأننى واثق ... . لأن لى رجاء صالحا » . أما المؤمن فانه يستطيع أن يقول : « اننى عالم بمن آمنت

ثم يستطرد الحديث ويؤكد حقيقة قيامة الأموات فيقول : « وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » .

عندما نحاول أن نؤكد حقيقة قيامة الأموات لا نحتاج الى استخلاص الحجج من الطبيعة ، ولا من عدم مساواة الجزاء أو القصاص في العالم الحاضر، ولا من بصيرة النفس وغرائزها الطبيعية . بل تكفى الاشارة الى القبر الفارغ في بستان يوسف الرامى .

في ليل يوم الصلب ، وبعد انزال الجسد عن الصليب ، أخذوه ولفوه في أكفان الموت ، كما سبق أن لفت العذراء مريم جسد الطفل بأقمطة الولادة .

ظل الجسد في القبر طول اليوم التالى . وفي الصباح التالى لم يوجد الجسد ، وتبين أن الحجر تدحرج عن فم القبر ، والأكفان الكتانية مرتبة في القبر ، والحراس يرتعدون من الخوف . والذين كانوا يعرفونه معرفة جيدة اضطروا الى الاعتراف بأنهم رأوه من جديد في جسد يختلف عن الجسم الذى كانوا يرونه من قبل ، رغم أنه كان واضحا أنه هو نفس الجسد ، كاختلاف الزهرة الكاملة النمو عن جذرها الذى يزرع في الأرض ، مع الزهرة بعينها .

ان مسيحيتنا مؤسسة على حقيقة قيامة المسيح من الأموات . في القيامة «تعين ابن الله بقوة »(رو ١ : ٤) ، وتحققت كل أقواله ، وتمت الكتب وأقيم البرهان الكامل على كفاية عمله الفدائي. هنالك اتخذت عقيدة قيامة الأموات مكانها بين الحقائق الثابتة في العالم . وان كان سر هذه العقيدة لا يمكن فهمه ، فان يقينيتها لا يتسرب اليها الشك من أية ناحية .

ورب قائل يقول : أنه لم يكن قد مات فعلا . فما قولك في هذا يا يوحنا ؟ • « لقد رأيته في اللحظات الأخيرة . واذ كنت واقفا تحت صليبه سمعت تنهده الأخير العميق عندما أحنى رأسه على صدره وأسلم الروح . وبعد ذلك مباشرة طعن جندى جنبه بالحربة واذ سحبها تدفق من جنبه للحال دم وماء ، فتأكدت أن موته قد تم فعلا . كان هذا واضحا جدا حتى ان العسكر الرومانيين وجدوا أنه لا مبرر مطلقا لكسر أية عظمة من عظامه . أما قائد المائة الرومانى فانه لم يتردد قط في الاعتراف لبيلاطس أن جسده يمكن أن يسلم لأصدقائه .

ولعل أحدا يدعى أن . جسده قد سرق . فما قولك في هذا يا يوحنا ؟ . « عندما يسطو اللص على بيت أى شخص حى ، أو على آخر بيت لشخص ميت ، فانه يترك كل شيء في حالة عدم نظام أو ترتيب : بياضات الغرفة منكوشة صندوق المجوهرات مكسور، كل ما خف حمله وغلا ثمنه مسروق . لكن عندما دخلنا نحن القبر الفارغ وجدنا كل شيء مرتبا بنظام دقيق جدا ، الأمر الذى أكد لنا أنه لم يدخل أى لص هناك . فقلنا : يقينا ان ربنا قد رتب أكفان القبر بعناية ، تلك الأكفان التى لفتها حول جسده أيادى المحبين » .

لاحظ الوصف الدقيق عن الموت ، ذلك الذى وصفه به رب الحياة :

« أنا الحى » . هاتان الكلمتان تتحدثان عن سر وجوده الأزلى الأبدى . هذه هى الحياة التى كانت مع الآب وأعلنت لنا ، التى ليس لها ماض أو مستقبل ، وليست لها بداية أو نهاية ، وتفصلها عن أسمى خليقة هاوية ليست لها حدود . هذه الحياة ، التى جاءت من الكون الأزلى ، نزلت الى الصليب القائم في موضع الجمجمة.

هذه الحياة ، التى يشترك فيها مع الآب منذ الأزل ، يمكن أن تلخص في هذه العبارة : « ها أنا حي الى أبد الآبدين) هذه الحياة هي نفسها حياة ابن الله الذى تأنس ، وأخذ طبيعتنا وأتحد بها مع طبيعته في وحدة لا تنفصم عراها ، ولبسها الى الأبد . « أنت كاهن الى الأبد » (عب ٥ : ٦).

اذ هو حى في كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) . « ليس بحسب ناموس وصية جسدية ، بل بحسب قوة حياة لا تزول » (عب ٧ : ١٦) .

بين هاتين الكلمتين العظيمتين ، اللتين تبينان حياة الله الأبدى الأزلى ، وحياة شفيعنا الذى هو الله الظاهر في الجسد ، وجدت عبارة عجيبة جدا : « وكنت ميتا ! . لسنا في حاجة لكي نبين الفكرة بأن المسيح لم يمت قسرا ، بل بمحض رغبته ، فقد وضع هو حياته بنفسه : « ليس أحد يأخذها منى ، بل أضعها أنا من ذاتى » (يو ١٠ : ١٨) ٠

اننا نريد أن نؤكد أن الموت ليس هو حالة مستقرة ، بل هو باب . ليس هو حالة ثابتة ، بل مجرد عبور . ليس اقامة طويلة ، بل عبور الحدود فوق قنطرة لا يستغرق عبورها سوى لحظة . واذ نعبرها لا ننتقل من القصر الى السجن ، بل العكس هو الصحيح .

ان السائح الذى يعبر جبال الألب يترك وراءه الأودية ، والمياه المتدفقة ، ومناظر سويسرا الرائعة الجمال ، لكى ينتقل في فترة وجيزة من الظلام الى الشمس المشرقة في ايطاليا . هكذا الموت تماما. فانه عبور الظلال ، من نور الحياة في هذا العالم الى نور الحياة الأخرى . وان التعبير الذي استخدمه الرب يبين بوضوح أن الموت - في حالته هو - كان أقل فترة فاصلة .
منطقتين من الحياة.

نحن نتحدث عن الموتى . لكن الواقع انه لا يوجد موتى سوى « الأموات بالذنوب والخطايا » (أف ٢ :١) . والذين ندعوهم أمواتا الذين انتقلوا من

العالم بعد أن ماتوا عن الذنوب والخطايا . انهم قد اجتازوا الموت ، خافضين رؤوسهم الوديعة تحت بابه الكئيب ، لكى يخرجوا الى حياة أرحب ، وأكثر حرية وبهجة

وهذا هو الحال معنا . فنحن الآن نعيش متمتعين بالنور ، والهواء ، ونشاط الحياة . وان كان الرب لا يأتى أولاً فاننا سوف نجتاز مظاهر الحياة الطبيعية التى تنهى هذه الحياة المائتة ، كما اجتزنا المظاهر التى بدأتها ، وربما لا نحس بهذه كما لم نحس بتلك . وبعد أقصر فترة ، وهى التى يدعوها الكتاب المقدس « طرفة عين » ، نستيقظ لنجد أنفسنا وسط مناظر وأصوات الأبدية

وراء منطقة الموت يحيا مخلصنا الى الأبد

يحيا ليشفع في أضعف الضعفاء، في الجهال والضالين . يحيا كممثلنا وكاهننا ، حاملا أسماءنا أمام الله . يحيا ليرحب بكل متغرب أضناه تعب الأدغال ، اذ يجتاز من الباب ويرفع وجهه الممزق

لكى تقبله شفتا الحمل الرقيقتان.

يحيا لكي يكون ينبوع الحياة الذى نشرب منه بغزارة الى الأبد . يحيا لكى يقودنا ، كما يقود الراعى خرافه ، الى المدينة التى لن تغرب عنها الشمس ، لأن الرب صار لها نورا أبديا.

هنالك وراء الموت حياة لجميع قديسيه . وهم يعيشون في دائرة حياته ، وبنور مجده يستنيرون، ان الأطفال الذين أخذوا من أحضان أمهاتهم والشيوخ المتقدمين في السن مثل سمعان الشيخ وحنة النبية ، والأبطال في الايمان ، والضعفاء ورقيقى العواطف، والذين نجوا من المحن و التجارب ، والذين جاءوا الى الميناء بقلوعهم مفرودة - هؤلاء كلهم متجمعون هناك ينتظرون وصولنا . كلهم يحيون له . ونحن لا ننتقل الموت ، بل الى الحياة . والشمس تغطس لحظة تحت حافة الأفق ، وبعد ذلك تبزغ كخروج العريس من خدره ، لكي تبقى مشرقة الى الأبد .

المسيح الحى يمسك بمفاتيح الهاوية والموت

بالموت أباد ابليس وأبطل الموت ، وانتقل السلطان من رئيس الظلمة الى رب الحياة ، ومن تلك الأيدى القوية التى أمسكت بالمفاتيح بكل عزم وحزم منذ سقوط آدم الى أن انتزعها منه من هو أقوى منه . واذ ضربه المخلص ضربة قاتلة قال :

سوف أقضى عليك يا موت ، وأبيدك يا هاوية. ومن تلك اللحظة تقلد ابن الله السلطة العليا على الموت ، والهاوية ، وقيامة الأموات .

مفاتيح الموت . اذا فلا أحد منا يستطيع أن يجتاز المدخل الا اذا فتح له المسيح الباب . قد يدفعنا خبث أعدائنا الى تلك الثغرة الصغيرة في الحائط الطويل المظلم الذى يحجب غير المنظور، لكنهم لا يستطيعون أن يلزمونا باجتيازه الا اذا فتح الرب يسوع الباب . وهو لا يمكن أن يفتحه
الا اذا حلت الساعة المحددة.

مفاتيح الموت . اذا فلن يرحل واحد من أعزائنا دون ارادة الله و اختياره . هل انفتح الباب في أحد الأيام السابقة ، وجازه أحد أحبائك واستضاءت الغرفة التى كان فيها بفيضان من النور الوقتى ؟ .

لقد كان هناك الرب يسوع . وكان ممكنا لك أن تراه لو لم تكن عيناك قد أمسكت . لا تتذمر كثيرا لئلا تخطى ضد حكمة المسيح الكاملة ، وتجرح قلبه الرقيق.

مفاتيح الموت . اذا ففى يده مفتاح كل قبر في مدافن القرية المتواضعة ، ومقابر المدينة المزدحمة. عزيزة في عينيه تلك الأكوام من التراب التى تحتوى أجساد مفدييه . لن يفقد واحداً منهم .

قد نزين القبر بزهور جميلة ، لكنه هو المتصرف الوحيد فيمن يضمه . وفى لحظة يوم القيامة يفتح الباب ، ويأمر الأجساد السجينة بأن تقوم في شبه جسده .

مفاتيح الهاوية . لقد ذهب اليها وقت موته ، وجاز وسط العالم المظلم ، معلنا نصرته ، ومؤكدا سيادته وسلطانه . ان أرواح المنتقلين كائنة معه . وهو المتصرف الوحيد في كل منها . هو يحدد أمكنة اقامتها ، والعمل الذى تؤديه ، ومناطق بركتها . وبمعنى أسمى ، ومعنى جديد ، يمكن تطبيق تلك الكلمات القديمة ، متذكرين فقط أن الهاوية قصر ، لا سجن : « فدفع رئيس بيت السجن الى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن . وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل » (تك ٣٩ : ٢٢).

مفاتيح الهاوية . أن أحباءنا موجودون معه ، فانهم قد رقدوا في الرب يسوع . ونحن أيضا سوف نكون معه ، ان كانت هذه هى مشيئته ، فذلك أفضل من أن

نبقى هنا الى أن يجيء ثانية . سوف يظل ممسكا بالباب الى أن يحين وقت فتحه لكى يخرج منه ربوات المفديين ليرافقوه ، وبهذا تختم المناظر الأخيرة لتاريخ البشرية .

وعندئذ يفتح هو الباب. عندما يتهيا كل الموكب في العالم الآخر ، وتأتى الساعة المحددة ، فان المفتاح يفتح الباب بسهولة ، ويأتى الرب مع ربوات قديسيه ، نازلا في الهواء ، وآتيا ليأخذ لنفسه السلطان العظيم والملك .

مفاتيح الهاوية والموت . اذا ففى سلطانه أن يتصرف نهائيا في كل منهما . بكلمته يسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما قبل أن يطرحا هما نفسيهما في بحيرة النار هذا هو الموت الثانى ،

والنجاة منه تعنى الحياة الأبدية . ولا يكون للموت سلطان عليهم ، والهاوية لا تعود تمسك بهم، لكنهم يحيون ويملكون مع الله والحمل الى الأبد . وهم سيحيون لأنه هو حى هو حى . « انى أنا حى فأنتم ستحيون » (يو ١٤ : ١٩) ٠

منقول من كتاب (في النار والماء) للواعظ القدير (ف.ب.ماير)

النقل والترتيب الاخ/ صفوت زكي سمعان